

تقديم

د . عبد العزيز المقالح

في زمن الضياع واللاجدوى، زمن الانتظارات الخائبة، يكون الشعر إحدى الملاذات الآمنة للشاعر والمتلقي على السواء، ليس بما يقدمه -أي الشعر- من طروحات فكرية وتصورات مثالية أو غير مثالية وإنما بما تقدمه من عزاء للنفس ومن سلوى للضائعين الذين لا يملكون في الحياة سوى رصيدهم العالي من الحزن وإحساسهم الغامض بالأمل الذي يتراءى لهم من بُعد في نماذج من الشعر الحقيقي الذي يستشرف أبعاد المستقبل في رؤى لغوية مترعة بالحلم الجميل بكل ما يجسده من طموح الإنسان المقاوم هذا الذي لا يعرف الاستسلام ولا يقبل سوى بالحرية والتغيير نحو الأفضل.

وكثيراً ما يكون الشعر متنفساً حقيقياً للنفوس القلقة الحائرة المثقلة بالهموم، إنه الركن الهادئ من التكوين الروحي، تركز إليه النفس وتسعى للتعبير من خلاله عن شجوها وأشجانها وتسترجع معه وعبره ما يبعث الفرح والسعادة . وما يقاوم الإحباط والهزيمة ، إنه البديل عن العزلة الداخلية والشعور المرير بالوحدة الخارجية ، بوصفه إيقاع التواصل الممكن بين الذات والآخر، بين الواقع والمتخيل ، وليس غريباً أن القصيدة الجيدة تبعث في النفس - نفس صاحبها كما في نفس قارئها- حالة من الابتهاج ، ويظل أثرها يومض في الذاكرة إلى أمد بعيد وقد لا يعرف الانطفاء.

القصيدة فضاء في قوامه اللغة وجمالية التعبير، والشعر فن لا ينتمي إلى حقل المعرفة المباشرة ، أو بتعبير آخر القصيدة كتابة لا واعية تنزع نحو

الفوضى المنظمة إذا جاز التعبير وهذا يعطيها -أي القصيدة- الحق في التجريب وفي أن تكون عمودية أو تفعيلية أو نثرية ، إذ لا خصائص ثابتة لها، وعلامة نجاحها أن تحقق التفاعل مع قارئها ، وإذا فعلت ذلك فقد حققت وجودها وأضحت عملاً إبداعياً جديراً بأن ينتمي إلى ما يسمى بالشعر بغض النظر عن الشكل الذي ترتديه أو تظهر به عمودياً أو أفقياً! وحين يصبح الشعر وثيق الصلة بالإنسان فإن أحداً لا ينبغي أن يتساءل عن شكله أو طريقة كتابته.

وفي هذا الديوان تجسد الشاعرة الدكتورة آمنة يوسف أحدث أفراحها وأحزائها وكأنما تؤكد من خلال قصائدها البديعة أنه لا خيار للإنسان سوى القلق، لكنه القلق الفاعل الايجابي الذي يحرّض على التفكير والكتابة ويدفع إلى التواصل مع هذا العالم العجيب المليء بالمفاجئات، تلك التي يجولها المبدع أو المبدعة إلى عمل فني يأتي في شكل قصيدة حيناً أو في شكل قصة أو في سياق آخر لا شكل له. ومن المؤكد أن المبدع هو ذلك الذي يعيش عمره يوماً بيوم، ولحظة بلحظة على الورق لا في الأحلام أو الكوابيس، أو في الأحاديث والثرثرات التي تذهب دائماً أدراج الرياح، ولا يبقى منها شيء يمكن العودة إليه والاستئناس باسترجاعه:

لا أحد سوى

قلبي الأبيض

يتمزق..

شجناً ملغوماً،

يتشقق..

كالقمر الآفل.

للشاعرة الدكتورة آمنة يوسف ديوان سابق بعنوان "انكسارات"
والجديد في ديوانها الجديد ملمح الأمومة بما يشع في ثنايا الكلمات من دفء
وحنان، وما يتفجر في قلب الأم من نبع إنساني يعكس نفسه على الحياة
والأشياء، وكيف يجول مشاعر أمومة المرأة من إنسانة هشة وضعيفة إلى
إنسانة قوية تواجه الألم والانسحاق وتسخر بالمصاعب مهما تعاضمت:

يا حلوتي يا رؤى

أنت من يمنح القلب

يغسله

من هموم السنين

وطول الحنين

إلى شرفة تفتح في الروح

مليون حجرة

ومليون أمنية مستقرة

ومليون حقل ثري الجنى

مورق الأغنيات.

تبقى في ختام هذا التقديم الموجز إشارة إلى عنوان الديوان (لعلني.. أنشد
القدر) بما يوحي ولو من طرف خفي أن الشعر يدخل قدريّة الإنسان
كصوت يحتمي به صاحبه من الوقوع في قبضة المتاهات أو الانسحاق تحت
عجلة الزمن الساخر الغضوب.

كلية الآداب - جامعة صنعاء

٢٠٠٧/٧/٩م